# المحاضرة السادسة

السنة الأولى فلسفة الشرق الدكتورة بشرى عباس المحاضرة السادسة

## أساطير الأصل والتكوين

## أسطورة إنليل ونليل (٦)

## القمر وإخوته

تجيب هذه الأسطورة على السؤال القائل: كيف تكوّن القمر، وكيف اتفق أن يكون له إخوة ثلاث كلهم متصلون بالعالم السفلي، فتأخذنا الأسطورة إلى مدينة /نيبور/ في أواسط أرض بابا وتدعى المدينة /دور انكي/ ودور غيشمار، وتسمى النهر الذي يجري بمحاذاتها ومرفأها وقناتها وإدسالاً، وكار غتنة، وكاروسار وبولال، ونونبيردو، وكلها أمكنة تاريخية ما زالت معروفة، ثم تسمي الأسطورة سكان المدينة، وهم الآلهة /إنليل ونليل ونشيارغونو/

*إننا نقيم في تلك المدينة نفسها دور انكي*

*إننا نقيم في تلك المدينة نفسها دور غيشمار*

*هذا النهر بعينه الادسالا كان نهرها الصالي*

*حقولها المحروثة لم تقل يوماً، إذا قيست عن عشرة /ايكو/*

*والشاب الذي كان فيها انليل*

*والصبية التي فيها كانت نليل*

*والأم التي فيها كانت نشيارغونو*

وتحذر نشيارغونو ابنتها من الذهاب وحدها للاستحمام في القناة إذ قد تراها أعين السوء أو يتعدى على عفافها أحد الشباب وقالت:

*في الجدول الصالي يا امرأة في الجدول الصالي لا تسبحي*

*في الجدول الصالي يا نليل، في الجدول الصالي يا امرأة*

*لا تسبحي*

*فلسوف يراك السيد بعينيه الوهاجتين سيراك*

*سيراك الراعي صانع الأقدار*

*وعلى النور بعانقك، وعلى النور بقبلك*

*ولكن نليل فتاة عفيفة*



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

في ذلك الجدول راحت الشابة

تستحم، وعلى ضفة القناة صعدت نتليل

ويتحقق كل ما خشيته نتشيارغونو قيرى النيل نتليل ويحاول غوايتها وعندما ترفض الاستسلام يفترسها قمراً ويتركها حبلى بـــ /سين/ إله القمر.

غير أن جريمة النيل كان هناك من عرف بها، وعند عودته إلى المدينة وهو يسير عبر ساحتها يلقى القبض عليه ويؤتى به أمام السلطات فيحكم عليه بجمع الآلهة الخمسين من كبار الآلهة والسبعة اللذين لهم القول الفصل بالنفي من المدينة لثبوت جريمة الاغتصاب عليه.

وجاء النيل ماشياً إلى كيور

إذ كان النيل يمر في كيور

أمر كبار الآلهة الخمسون

والآلهة السبعة ذوو الكلمة الفصل

بإلقاء القبض على النيل

على المغتصب النيل أن يغادر المدينة

فينصاع النيل للقضاء، ويغادر ويهجر أرض الأحياء في طريقه إلى الجحيم غير أن نتليل

والنيل انصياعاً للحكم

وخرج وتبعته نتليل

يرفض النيل استصحابها أول الأمر غير أنه يخشى أن يتعدى عليها البعض في الطريق وهي بدون حماية كما فعل هو، وأول رجل يقابله هو حارس المدينة فيقف عند الحارس ويأخذ مكانه ويتنكر في شكله ويأمر بألا يجيب بشيء إذا سألته نتليل

ويصيح النيل بحارس الباب

يا صاحب الباب يا صاحب المزلاج

يا صاحب القفل يا صاحب المزلاج المقدس

ملكتك نتليل قادمة، إن تسألك عني

لا تخبرها بمكاني، إياك، يا رجل إياك أن تقبلها

لقد استحسن النيل، نتليل الحلوة الجميلة



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

وهذا عندما تبلغ ننليل الباب يرى النيل متنكراً، فلا تعرفه وتظنه الحارس ويقول لها إن ملكه النيل قد وصاه بها، فترد على ذلك بقولها إذا كان النيل ملكه فهي ملكته، لأنها تحمل طفل النيل المدعو /سين/ الإله القمر تحت قلبها فيتظاهر النيل المتنكر في زي الحارس بالاضطراب لأنها تحمل إلى الجحيم ابن سيده، ويقترح مضاجعتها لكي تلد ولداً لا بأس من انتمائه إلى الجحيم وأخذ مكان ابن الملك القمر المنير

*ليصعد فرع الملك العزيز إلى السماء*

*ليهبط ابني إلى العالم السفلي، ليهبط ابني على العالم السفلي عوضاً عن*

*فرع ملكي العزيز.*

فيضاجعها ويتركها ثانية حيلى بالإله /مشلمشاتي/ الذي نعلم أنه كان يعتبر أحاً للقمر سين ثم يستأنف النيل السير إلى الجحيم، وتستأنف ننليل ملاحقتها له ويتوقف بعد ذلك مرتين أولاً عندما يصل إلى صاحب نهر الجحيم الذي يتنكر في زيه أيضاً لكي تلد منه ننليل الإله ينازو أحد إله العالم السفلي وثانياً عندما يبلغ عبار نهر الجحيم، وفي زي العبار تلد منه الفتاة إلهاً آخر من آلهة الجحيم ولكننا حتى الآن لم نتبين اسمه لأنه أصيب بالتلف في النص وإلى هنا تنتهي القصة..

*النيل هو الرب النيل هو الملك*

*وكلمة النيل لا تتغير*

*وكلمة النيل المنفعة لا تتبدل*

*الحمد لأمنا ننليل الحمد لأبينا النيل*

لا تبدو القصة كما رويناها بالعلية، فمن الخطأ الشديد تطبيق مقاييسنا الخلقية على ثقافات وأمم بعيدة، لكن ما يدل عليه سياق النص أن الجو (البيئة الاجتماعية) كان موبوءً، لكن علينا أن نتذكر أمرين أولهما أن هذه القصة صادرة عن مجتمع كان شرف المرأة فيه فكرة غير معروفة، فكان اغتصاب المرأة الغرباء إلماً بحق وصيها، واغتصاب المتزوجة إلماً بحق زوجها، وكلاهما آثم بحق المجتمع وشرائعه، ولكن الاغتصاد لم يكن قط إلماً بحق المرأة نفسها، فلا هي ولا مشاعرها يحسب لها أي حساب ولذلك نجد في القصة صراعاً عنيفاً خلقياً عندما ينتهك النيل شريعة المجتمع باغتصاب ننليل، أما الذي يحدث له لاحقاً فالذي يهان هو شرف النيل وهو يتحسب ذلك بأن يتنكر في زي الرجال الذين تلقاهم ننليل في طريقها، والأمر الثاني والأهم هو أن ننليل التي نشفق نحن على حالها يكاد لا يعيرها القصاص أي اهتمام، فاهتمامه الأوحد هو بما تلد من أطفال، أي بأصل إله القمر وإخوته الإلهين الثلاثة، فليست ننليل في نظره إلا امرأة ستلد هؤلاء الأطفال أما كإنسان فلا يهمه من أمرها شيء، ولكن السؤال يصبح لماذا يصبح للقمر الإلهي الساطع أخوة ثلاث كلهم قوى في العالم السفلي؟

تجيب الأسطورة على ذلك بعبارات سيكولوجية فهي تجد السبب في طبيعة النيل نفسه بما فيه من خصال الظلم والعنف إن فيه عنصراً من الشراسة والعنف يدفعه إلى انتهاك قوانين ومحرمات مجتمع العالم العلوي عندما يطأ ننليل عنوة فتلد منه /سين/ والنتيجة هي النفي الذي تفرضه القوى التي تحافظ على ذلك المجتمع وتنظيمه الأساسي.



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

أما أولاد الليل الآخرون فيولدن بعد أن يطرد من عالم النور بعد أن يكون في طريقه إلى الجحيم ولذا فإن هؤلاء الأولاد ينتمون إلى ظلمة الجحيم والسؤال لماذا يتفاوت أبناء الليل السيء لأن الليل قد أمر بذلك وهذا نجد بأن إطار الأسطورة هو النظرة إلى الكون والدولة وما انليل ونليل وسين وبقية أشخاص القصة إلا بعض قوى الطبيعة ولكن صانع الأسطورة يرى كلاً من هذه القوى كـ /أنت/ كعضو في المجتمع.

## أسطورة تلمون

كان هم اسطورة انليل وتليل محصوراً في نقطة واحدة وهي تفسير التباين في طبيعة أبناء الليل وقد استقصت أصل كل منهم لتربنا أن مصدر التباين هو التضاد في طبيعة الليل نفسه غير أن اسطورة /تلمون/ لا تعالج مشكلة من هذا القبيل، إنها تستقصي وحدة سببية بين عدد كبير من الظواهر المتباينة لتربنا أن الأصل فيها هو الصراع بين طبيعتين هما الذكر والانثى فتروي قصة معركة وقعت بين إرادتين تتبادلان العداء بين الأرض الأم الوفية /ننهور ساغا/ وبين انكي إله المياه المتقلبة.

تبدأ القصة في جزيرة تلمون /أي البحرين/ وقد كانت هذه الجزيرة من حصة /أنكي وننهور ساغا/ عندما اقتسم الآلهة الدنيا فيما بينهم وبعد أن يزود /أنكي/ الجزيرة بالمياه العذب باقتراح من /ننهور ساغا/ يطلب يدها فتمانع أول الأمر ثم تقبله زوجاً لها والآلهة تتسار أي السات وهي ثمرة زواج التربة /ننهور ساغا/ من المياه أنكي ولكن كما تنسحب مياه الفيضان السنوي في العنور عائدة إلى مجراها في النهر قبل بزوغ الخضرة في الأرض هكذا يهجر /أنكي/ زوجته /ننهور ساغا/ قبل أن تولد آلهة النبات وكما أن الخضرة في أواخر الربيع تتجمع حول الأنهار هكذا تأتي /ننسا/ إلى ضفة النهر حيث يقيم /أنكي/ غير أن الآلهة أنكي لا يرى في آلهة السات إلا فتاة أخرى فيضاجعها ولكنه لا يقيم معها فتلد آلهة النبات ابنه، لنا أن نحزر أنها تمثل الألياف النباتية المستخدمة في الكتان وهذه الألياف تستحصل بنقع النباتات في الماء إلى أن تعف المواد الطرية بها وتتساقط عنها ولا تبقى إلا الألياف القوية فهي في شكل ما نبت السات والماء ثم تعيد القصة نفسها فتولد آلهة الأصباغ التي يلون بها النسيج وهذه بدورها تلد آلهة النسج والنسيج المسماة /أوتو/ هنا تكون ننهور ساغا قد أدركت مدى تقلب أنكي فتحذر ولذلك فإن أوتو تصر على الزواج، عندما يحاول أنكي إغرائها وتطالبه بتقديم كميات من الخبز والتفاح والعنب هدية لها ولعلها هدية الزواج المألوفة ولا فهي لن تستسلم له فيقبل أنكي الشرط وعندما يزورها في منزلها لخطبتها حاملاً الهدايا تفرح أوتو به وتسمح له بالدخول فيعطيها أنكي خمراً تسكر بها ويمتع نفسه بالفتاة وهنا يعتور النص فراغ مشوه يقطع علينا مجرى القصة ثم نجد ثمانية نباتات قد برغت وأن ننهور ساغا لم تعلن بعد أسمائها وطبيعتها وخواصها غير أنها تكتشف فجأة أن أنكي قد سبقها التي تقرر ذلك كلهن وأنه قد أكل النبات فتحقد عليه لهذه الإهانة حقداً مريعاً وتلعن إله الماء وتضطرب الآلهة اضطراباً شديداً هذه اللعنة معناها نفي المياه العذبة إلى ظلمات أعماق الأرض وبالتالي موتها موتاً بطيئاً عندما تقبض الآبار والأنهار في فصل الصيف ولكن التعلب يظهر وبعد الوساطة بإحضار ننهور ساغا أمامه ويفي بوعده فتأتي ننهور ساغا ويرق قلبها وأخيراً تشفي أنكي المريض بولادة ثمانية آلهة أو إله واحد عن كل عضو مصاب في جسمه وقيل أن هذه الآلهة هي النبات الثمانية التي كان أنكي قد التهمها فاستقرت في بدنه وتنتهي الأسطورة بتعيين مكانه في الحياة لكل من هذه الآلهة

تحاول هذه الأسطورة كما قلنا أن تستقصي وحدة سببية فيما بين ظواهر عديدة متباينة غير أن هذه الوحدة سببية في المعنى /الميثولوجي/ ونحن عندما نرى النباتات تولد من التربة والماء فنحن ما زلنا نتبع القصة وإن يكن تتبعنا في شيء من التحفظ ولكن



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

عندما تولد الآلهة في نهاية الأسطورة لشفاء أنكي نجد أن لا علاقة بينها وبين التربة التي تلدها أو بين الماء غير أن أسمائها تحتوي على عناصر تذكرنا بأسماء أعضاء معينة من الجسم وهي الأعضاء التي تشفي في جسم أنكي فمثلاً الإله /آ-زي-مو-ا/ الذي يعني أسمه نمو الذراع باستقامة إنما ولد لشفاء ذراع أنكي وهنا تكمن العلاقة

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه الأسطورة من وجهة نظرها هي ومنطقها الميثولوجي وجدنا أنها تعمق فهمنا لقوتين من قوى الكون الكبرى الأرض والسماء، الأرض والماء لأن الفهم في هذا العالم البابلي معناه نفاذ البصر السيكولوجي فالأسطورة تطلعنا على التضاد العميق الكامن وراء التلاعب الخصب بين هاتين القوتين في الطبيعة وهو يرتفع على ذروة من العنف الصريح المهدد بتدمير الماء إلى الأبد ثم ينتهي بالشعور بالارتياح عندما يتم الصلح بين الطرفين وبعود الانسجام على الكون

فالأبيات الأولى من افتتاحية الأسطورة موجهة إلى أنكي وتنهور ساغا مباشرةً وهذان الإلهان هما المقصودان أنها:

*عندما كنتما تتقسمان الأرض العذراء*

*عندما تتقسمان الأرض النقية*

*أنما كانت أرض /تلمون/ اقليماً نقياً*

*ولم يكن الغراب ينعق في ملمون*

*ولا الأسد يفترس*

*ولا الذئب يخطف الحمل*

*ولا الجحش يعرف كيف يأكل الحب*

## النظرة إلى العالم إينو ما إيليش

هذه الأسطورة تاريخ طويل معقد لقد كتبت باللغة الاكدية ويبدو أنها اكدية أواسط الالف الثاني ق.م، بطلها مردوك إله بابل وذلك يتفق وكون بابل حينئذ ان السياسي والثقافي فيما بين النهرين وعندما غدت آشور في الالف الأول ق.م القوى الكبرى في الشرق الأوسط استبدل الكتاب الآشوريون مردوك لآلهتهم آشور وأدخلوا على القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد.

ويبدو أن استبدال مردوك بآشور كبطل للقصة لم يكن الاستبدال الأول والوحيد فيها فوراء نسختنا الحاضرة التي تدور حول مردوك نسخة أخرى سبقتها ولا شك بطلها أنليل من بلدة نيبور وهذا يمكن استنتاجه من دلائل عديدة توجد في الأسطورة نفسها أهمها أن أنليل وإن يكن على الأقل الإله الثاني من حيث اله بين آلهة أرض الرافدين ولا يلعب أي دور مطلقاً في الأسطورة التي بين أيدينا بينما يلعب فيها الآلهة الكبرى الأخرى كلها أدوارها الملائمة ثم أن الدور الذي يقوم بها مردوك لا يتفق وشخصية هذه الآلهة فمردوك في الأصل إله زراعي أو لعله إله شمسي في حين أن الدور الرئيسي في إينو ما إيليش هو دور إله العاصفة وأنليل هو ذاته الإله بل إن إحدى المحالب التي تعزى في القصة إلى مردوك فصل السماء عن الأرض هي



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

العجيبة نفسها التي تعزوها الأساطير الأخرى إلى أنليل عن حق لان الذي يعزل السماء عن الأرض فالجانبين من قرية منفوحه إنما هو الهواء الواقع بينهما ولذلك يبدو أنليل هو البطل الأصلي في القصة وأنه استبدل بمردوك عندما نظمت أقدم النسيج المعروف لدينا حوالي منتصف القرن الثاني ق.م أما مدى قدم الأسطورة نفسها فلا نستطيع تحديده على وجهة الضبط عن فيها من المواد والفكر ما يشير إلى الالف الثالث ق.م

تتضمن الأسطورة جزأين يعالج الجزء الأول فيها أصل الكون ويروي الثاني كيفية تأسيس نظام العالم الحالي إلا أن الموضوعين ليسا بالمنفصلين انفصالاً تاماً فالحوادث فيها قسم الأسطورة الثاني يشار إليها في حوادث القسم الأول وتتداخل أحياناً فهي تستهل القصيدة بوصف الكون كما كان في البدء:

*عندما في الأعالي لم يكن للسماء أي ذكر*

*ولم يخطر بالبال اسم للياسة تحتها*

*عندما لم يكن إلا أبو والدهما*

*ومو وتعاقت وهي التي ولدتهم جميعاً*

*عندما لم يكن هناك مستنقع ولا جزيرة*

*ولم يكن قد ظهر أي إله*

*ولا سمي إله باسمه ولا عين له أي مصير*

ونرى في هذا الوصف ابكر وصف لمرحلة من مراحل الكون، وهو بعض فوضى من المياه وكانت هذه الفوضى تتألف من عناصر ثلاث متداخلة. أبسو ويمثل المياه العذبة، وتعاقت ويمثل مياه البحر، ومو وهو غير محدد الهوية في الأسطورة ولكنه قد يمثل السحب والضباب وقد امتزجت هذه الأنواع الثلاثة من الماء في كتلة كبيرة لا حدود لها و لم تكن قد وجدت فكرة السماء فوق يابسة مستقرة أسفلها إنما الكل ماء.

بعد ذلك في وسط هذا الخضم ظهر إلهان /لحمو، لخامور/ وحلي من النص أنهما ولدا من أبسو أي المياه العذبة وتعاقت أي البحر ويبدو أنهما يمثلان الطمي الذي يتراكم وهما وحيدان من أوجه الأفق فالظاهر أن صانع الأسطورة تخيل الأفق كذكر وأنثى معاً، كدائرة /ذكر/ تحيط بالسماء ودائرة /أنثى/ تحيط بالأرض.

وأنشار وكيشار يلدان أنو أي إله السماء ويلد هذا نود يموت وما نود يموت إلا اسم آخر لأنكي مياه المياه العذبة ولكن المقصود به هنا على ما يبدو ان يمثل الأرض نفسها، إنه /ان-كي/ سيد الأرض وزعموا ان انشار صنع أنو على صورته لأن السماء تشبه الأفق من حيث استدارتها وزعموا أن /أنو/ صنع نودمود أي الأرض على صورته لأن الأرض كما في نظر البابليين في شكل قصر بل في شكل إناء مستدير

*وظهر لحمو ولخامور وأعطي كل منهما اسمه*



Scanned by CamScanner

# المحاضرة السادسة

*وعلى مر العصور كبرا طالا قامة*

*ثم تكون انتشار وكيشار وفاقاهما*

*وعاشا أياماً كثيرة وهما يضيفان العام على العام*

*وكان ابنهما أنو نداً لأبناته*

إن التأملات والظنون التي نلقاها هنا والتي حاول العراقيون الأقدمون أن يتحرفوا بها الغموض الذي يكشف أصل الكون مبنية بالطبع على معرفتهم بالطريقة التي تتكون بها مساحات جديدة من الأرض في بلادهم فالعراق بلد نشأت أرضه على مر آلاف السنين من الطمي الذي يجيء به النهران العظيمان دجلة والفرات وهذه العملية مازالت جارية حتى الآن وهو ذات المشهد حيث تلتقي مياه النهرين العذبة بمياه البحر المالحة وتمتزج فيها والسحب المنخفضة تظل المياه وهكذا فإن أهل ما بين النهرين حين تأملوا في أصل الدنيا وتكوينها جعلوا بدايتهم ما يعرفونه عن طبيعة أرضهم، فأرضهم تكونت من الطمي المتراكم عند التقاء الماء العذب بالماء المالح، ولذا فإن السماء التي بدت لهم جماداً كالأرض تكونت ولا ريب على النحو نفسه ثم رفعت إلى مكانها.

انتهت المحاضرة



Scanned by CamScanner